المجلد التاسع والعشرون للعام ٢٠٢٥م
حولية كلية اللغة العربية بجرجا

القصيدة الحديثة بين سلطة الغموض وجمالية التأويل "قراءة في المفاهيم والاستراتيجيات الجمالية"

The Modern Poem between the Power of Ambiguity and the Aesthetic of Interpretation 'A Reading in Aesthetic Concepts and Strategies'

بقلم الدكتور

سيد أحمد الجود

دكتوراه في النقد الأدبي العربي الحديث

الترقيم الدولى/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الأول من إصدار سبتمبر ٢٠٢٥م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٥/٦٩٤٠م

القصيدة الحديثة بين سلطة الغموض وجمالية التأويل
"قراءة في المفاهيم والاستراتيجيات الجمالية"

سيد أحمد الجود

دكتوراه في النقد الأدبي العربي الحديث.

البريد الإلكتروني : Sidjoud@hotmail.com

الملخص

يستقصي هذا البحث العلاقة الجدلية بين الغموض بوصفه سمة جمالية في القصيدة الحديثة، والتأويل كآلية لفهمها. ويؤكد أن الغموض لم يعد يُعدّ نقصًا، بل أصبح أداة فنية توسّع أفق التلقي وتفتح النص على تعددية دلالية، مما يمنح القارئ دورًا فاعلًا في إنتاج المعنى. يميز البحث بين الغموض البنّاء الذي يحفّز الفهم، والإبهام المعطّل له، ويحلل مظاهر الغموض في أعمال شعراء مثل أدونيس ودرويش وعفيفي مطر. كما يرصد تطوّر التأويل في الفكرين العربي والغربي، موضحًا كيف أصبح وسيلة لإعادة إنتاج النص بحسب سياق القارئ. ويخلص البحث إلى أن جمالية القصيدة المعاصرة تتجلى في التفاعل بين الغموض والتأويل، وأن القارئ الحديث بات شريكًا رئيسًا في خلق المعنى، مما يجعل القصيدة فضاءً تأويليًا متجددًا.

الكلمات المفتاحية: القصيدة الحديثة، الغموض، التأويل، التلقي، المعنى، القارئ، النص المفتوح، الحداثة الشعرية، الغموض البنّاء، جمالية الفهم.

The Modern Poem between the Power of Ambiguity and the Aesthetic of Interpretation
'A Reading in Aesthetic Concepts and Strategies'

Sayed Ahmed Al-Joud
PhD in Modern Arabic Literary Criticism.
Email: Sidjoud@hotmail.com

Abstract

This research explores the dialectical relationship between ambiguity as an aesthetic quality in modern poetry and interpretation as a means of understanding it. It argues that ambiguity is no longer a flaw, but an artistic device that expands the reader's horizon and enables a plurality of meanings. By distinguishing between creative ambiguity and obstructive obscurity, the study examines how poets like Adonis, Mahmoud Darwish, and Afeefi Matar employ ambiguity to enrich poetic experience. The research also traces the evolution of interpretation in Arab and Western thought, presenting it as a vital tool not just for comprehension, but for re-constructing the poem based on the reader's perspective. Ultimately, the study concludes that ambiguity stimulates interpretation, and that the reader now plays a central role in meaning-making, transforming the modern poem into a dynamic interpretive space open to infinite readings.

Keywords: Modern Poem, Ambiguity, Interpretation, Reception, Meaning, Reader, Open Text, Poetic Modernity, Constructive Ambiguity, The Aesthetic of Understanding.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تمثّل الحداثة الشعرية تحوّلاً جوهريّاً في بنية القصيدة وأساليب التعبير، حيث تسعى إلى تجاوز القوالب التقليدية وإعادة تشكيل اللغة الشعرية وفقاً لرؤية جديدة.

نشأت الحداثة الشعرية نتيجةً لتفاعل العوامل الثقافية والاجتماعية والفكرية، مما أدّى إلى ظهور تجديدات في الشكل والمضمون، وكان من أبرزِ سماتها؛ التحرر من الأوزان التقليدية واعتماد الصور الرمزية والتكثيف اللغوي، إضافةً إلى توظيف الغموض والتناص، لإثراء المعاني.

ساهمت الحداثة في توسيع أفق التجربة الشعرية، حيث أصبح الشعر أكثر ارتباطاً بالذاتية والتأمّل الفلسفي، مما أتاح للشاعر حرية أكبر في التعبير عن رؤاه الخاصة، بعيداً عن الأنماط المألوفة.

وتعدُّ القصيدة الحديثة فضاءً إبداعيّاً مفتوحاً، حيث تتجاوز الأشكال التقليدية للشعر إلى بنية أكثر تعقيداً تعتمد على الغموض كأداة جماليّة وفكرية، فالغموض في الشعر الحديث ليس مجرد تعقيد لغوي؛ بل هو استراتيجية فنيّة تهدف إلى توسيع آفاق التأويل، مما يمنح القارئ دوراً نشطاً في فكّ رموز النصّ وإعادة تشكيل معانيه.

من ناحيةٍ أخرى؛ فإنَّ جماليات التأويل في القصيدة الحديثة ترتبط بقدرة النصّ على استيعاب قراءات متعددة، حيث يصبح الشعر مجالاً للحوار بين الشاعر والقارئ، مما يفتح المجال لتفسيرات متنوعة تتأثّر بالسياقات الثقافية والمعرفية المختلفة، وبهذا؛ يتحوّل الغموض من كونهِ عائقاً إلى عنصر محفّز للإبداع والتفاعل النقدي.

لا يختلف اثنان في أنَّ الكتابة الشعرية هي إبداع، والإبداع لا يكون إبداعاً إلّا إذا أحسن الشاعر استخدام اللغة موفقاً في اختياراته اللفظية ومعانيه السحرية وصوره البديعية. فلا غرو إذا كان الشاعر محافظاً أو مجدداً ما دام يحسن استخدام

هذه القواعد، يقول أبو العباس المبرد أنَّ الأفضليّة أو القيمة لا تحدد بناءً على قدم الزمن، أو حداثته، أي أنَّ الشخص لا يكون مفضّلاً أو ذا شأنٍ لمجرّدِ أنّه عاشَ في زمن قديم، كما أنَّه لا يكون صواباً لكونه حديثاً، فالحكم على العمل الأدبي يجب أن يكونَ بناءً على جوهرهِ، وتأثيره الحقيقي، ليس فقط على أساس الزمن الذي قيل فيه، فالنصّ يقدر بقيمته الفنية، وسلطته بذاتهِ، لا يقدر بزمنهِ وبيئتهِ.

لقد أثار الشعر الحداثي منذ أمد بعيد مسألة الغموض، وقد أشار أدونيس إلى أنَّ شعر الحداثة لم يبدأ مع المرحلة المتأخرة المعروفة، إنّما بدأ مع الشاعر أبي تمام، أو قل زمن الثورة الأدبية والحركة النقدية التي دارت بينه وبين البحتري الذي مثّل القصيدة الكلاسيكية، لكنَّ الذي يعنينا من هذا كلّهُ؛ أنَّ الغموض يمثّلُ حدثاً شعريّاً لافتاً للنظرِ أرّقَ القدماء وبلبلَ ذائقتهم، ففي الوقت الذي دعا المحافظون إلى ضرورة الوفاء لعمود الشعر والمحافظة على السنة الشعرية، ووسموا كل محاولة شعرية لخرق هذا النظام وكسر هذا الطوق بالتجاوز والمروق؛ أثنى قليل منهم على هذا التجاوز الشعري، ورأوا أنّه يمثّل روح الإبداع ما دامت الجودة والإحسان بالنسبة لهم هي ميزة الجودة والتفاضل، ولا مناص للشاعر المبدع عندهم من ذلك(١).

يكتسب البحث في القصيدة الحديثة أهميّة كبيرة نظراً للتحولات العميقة التي طرأت على بنية الشعر العربي، حيث أصبح الغموض سنة بارزة في النصوص الشعرية المعاصرة، مما يفتح المجال أمام جماليات التأويل كأداة لفهم واستكشاف المعاني المتعددة للنصّ.

ممّا تقدّم يمكننا إجمال إشكاليّة البحث فيما يلي:

هل الغموض في القصيدة الحديثة عائقاً أمام التلقّي أم محفز على التأويل؟

---

(١) قاسم مومني، الموازنة للآمدي، دراسة وتحليل، الدار البيضاء، المغربية للنشر، ١٩٨٥م، ص٢٧.

بذلك تكون أهداف البحث:

الوقوف على مفهوم الغموض والتأويل في الشعر الحديث.

تحليل أثر الغموض على المتلقي.

استكشاف العلاقة بين الغموض والتأويل في الخطاب الشعري.

سنتّبع في البحث وفقاً لما سبق المنهج الوصفي النقدي، مع توظيف أدوات جماليّات التلقي والتأويلية الحديثة.

التمهيد:

شهد الشعر العربي الحديث تحولات جوهرية في بنيته الفنية والدلالية، حيث أصبحَ الغموض أحد أبرز سماته، متجاوزاً كونه مجرد تعقيد لغوي إلى كونه استراتيجية جمالية وفكرية، تهدف إلى توسيع آفاق التأويل. إذ لم يعد الغموض في القصيدة الحديثة مجرد وسيلة لإخفاء المعنى؛ بل تحول إلى عنصرٍ أساسيٍّ يثري التجربة الشعرية، مما يمنح القارئ دوراً نشطاً في كِّ رموز النصِّ وإعادة تشكيل دلالاتهِ.

في هذا السياق؛ تبرز جماليات التأويل كأداة لفهم الشعر الحديث؛ حيث يتيح الغموض إمكانيّة تعدد القراءات، مما يجعل النص الشعري فضاءً مفتوحاً للحوار بين الشاعر والمتلقّي، فالتأويل لا يقتصر على استكشاف المعاني الظاهرة؛ بل يمتدّ إلى البحث في الطبقات العميقة للنصّ، مستنداً إلى السياقات الثقافية والمعرفية المختلفة، بذلك تصبح القصيدة الحديثة مجالاً لتفاعل ديناميكي، بين سلطة الغموض التي تفرض تحدياً على القارئ، وجماليات التأويل التي تمنحهُ حرية إعادة بناء المعنى وفقاً لتجربته الخاصّة.

هذه العلاقة بين الغموض والتأويل تفتح المجال أمام مقاربات نقدية جديدة، تسعى إلى فهم كيف يساهم الغموض في إثراء النصّ الشعري، بدلاً من جعله مغلقاً أو عصياً على الفهم.

الإطار النظري

تعريف الغموض في الشعر الحديث:

أشارت المعاجم العربية القديمة إلى الغموض من خلال استخداماته اللغوية المختلفة، فيقول صاحب اللسان: "ومغمضات الليل دياجير ظلمه وغمض يغمض غموضاً وفيه غموض، والغامض من الكلامِ خلاف الواضحِ، والغامض من الرجالِ الفاتر عن الحملة(١).

كما يحمل مصطلح الغموض (Ambiguity) في المعاجم الإنكليزيّة المعاصرة معنى اللغة المجازية (Figurative Langue) أو تعدّد احتمالات المعنى، تلكَ اللغة التي تمثّل المستوى الفني أو الجمالي المتّصل بالدلالات والرموز المرتبطة بالأعمال الإبداعيّة، كالشعر مثلاً(٢).

وما دامَ الغموض يمثّل جوهر العمل الإبداعي؛ فقد لقي هذا المصطلح قلقاً واضطراباً كبيراً في الساحة الأدبية، لأنّه يمسّ أطراف العمليّة الاتّصالية (النصّ والمبدع والتلقّي)، وينشأ القلق والاضطراب المرتبطان بالغموض نتيجة تفاوت درجاته واختلاف وجهات النظر حول تعريفه وتحديد غايته وأهميته، كما أنَّ إشكالية مفهوم الغموض تتعمّق بسبب تعدد المصطلحات المرتبطة به، مثل الإبهام والتعمية، وغيرها من التعبيرات التي قد تؤدي إلى تشويش القارئ، مما يجعله غير قادر على فهم المصطلح بشكل دقيق أو تحديد وظيفته في السياق الأدبي(٣).

والإشكالية التي يطرحها مصطلح الغموض تكمن في أنّه يمتلك في ذاتهِ تناقضاً وتعارضاً خاصّةً في مجال اللغة الشعرية التي هي في أوّلها؛ إبداء ما في الوجدان، لكنَّ هذا الإبداء أتى مبهماً وغامضاً، يشقّ على الذهن تحديد معانيه

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة غ م ض، ج٨، ٩٩١.

(٢) سليمان خالد، أنماط الغموض في الشعر العربي الحر، جامعة اليرموك، أربد، ١٩٨٧م، ٩.

(٣) دريد يحي الخواجة، الغموض الشعري في القصيدة العربية الحديثة، دار الذاكرة، حمص، ط١، ١٩٩١م، ٦٥-٦٦.

ودلالاته، فهو تفسير غير مفسّر، والإشكال هو خاصيّة تنسب إلى أيِّ شيءٍ يحمل في داخلهِ تناقضاً واختلافاً في الاتجاهات، بالإضافة إلى تعارض في التطبيق(١).

وما دامت لغة الشعر تجنح إلى الغموض؛ فلابدَّ للشاعر أن يفجّر مخزون طاقاته الشعرية بالاستعمالات المجازية والتعابير الغامضة الدقيقة، التي يجد القارئ من خلالها متعةً في سبرِ أغوارها وكشفِ مراداتها، لأنّهُ بالغموض "يلامس جوهر الشعر الذي ينبثق من تفاعل معقد بين عدة عناصر، تشمل الروح والشعور والعقل، حيث تتداخل هذه القوى بشكلٍ خفي لتشكل اللحظة الشعرية(٢).

إذن؛ الغموض في الشعر العربي الحديث هو خاصية أدبية تعكس عمق الفكر والتعبير الفني، حيث يستخدم الشاعر الرمزية والتلميح لإضفاء بعد جمالي وفكري على النصّ الشعري.

وينظر إلى الغموض على أنّه وسيلة لإثارة فضول القارئ ودفعهِ إلى البحث عن المعاني الخفيّة وراء الكلمات، مما يخلق تجربة شعرية أكثر تأثيراً وإيحاءً.

علاقة الغموض بجمالية القصيدة وتأثيره على القارئ

إنَّ البحث في الغموض هام جداً، لأنَّ الغموض عنصر جوهري في الشعر، إذ يقوم بنيانه الأساسي على هذا الطابع، مما يجعلهُ جزءاً لا يتجزّأ من طبيعة الشعر ذاته، ولكن ليسَ أيّ غموض، إنّه الغموض الذي يستفزّ العقل والمشاعر، ويحرك المشاعر بألفاظهِ وعباراته، ويدغدغ الأحاسيس بموسيقاه وإيقاعه، ويجوب بالعقل إلى مكانٍ سحيقٍ فتبرز الأفكار العميقة والمعاني الدقيقة.

ولابدَّ من الوقوف عند أسباب الغموض ودواعيه، ويمكن تلخيصها فيما يلي(٣):

(١) عبد الرحمن بدوي، الموت والعبقرية، وكالة المطبوعات، دار القلم، بيروت، ١٩٥٤م، ٤.

(٢) دريد يحي الخواجة، مرجع سابق، ص١٠٧.

(٣) عبد الرحمن محمد القعود، الإبهام في شعر الحداثة، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٢م، ٢٣٣.

غموض الفكرة: يحدث عندما يعجز الشاعر عن صياغة أفكارهِ بوضوح، مما يؤدي إلى ضعف في التعبير اللغوي والأسلوبي، ويكون أحياناً السبب عدم اقتناع الشاعر بالفكرة، أو عدم وضوحها لديه، كما أنَّ التفاعل بين التجربة الخارجية والمشاعر والأفكار الداخليّة إلى جانب قدرة اللغة الشعرية على التعبير، قد يساهم في تعقيد التجربة الشعرية، مما يجعلها تميل إلى الغموض.

جدليّة القصيدة وخروجها عن المألوف: إذ ظهر الشعر الحديث بفضل مجموعة من الشعراء الذين تأثّروا بالمدارس السريالية والرمزية، فاعتمدوا على الرمز في البداية، ثمَّ ابتعدوا عنه لاحقاً، مما جعل قصائدهم تتّسمُ بالغموض، فالقصيدة الحديثة لم تتطور بشكل تدريجي، بل ظهرت مكتملة التكوين، نتيجة عوامل خارجية دفعتها للابتعاد عن الذائقة العربية التقليدية والمعاصرة.

المفارقة بين السياق القديم والجديد: فقد أدّى التأثير الغربي إلى تراجع الأفكار المشتركة بين الشاعر والقارئ، إذ فرضت التيارات الغربية الفكرية هيمنتها على الفكر العربي، في وقت كان العالم العربي معزولاً عن هذه المفاهيم الجديدة.

ندرة النماذج متكاملة البناء: إذ لم تتوفر نصوص شعرية كافية لتشكيل تيارٍ واضحٍ يثبت قيمته الفنية، مما جعل الشعراء يخوضون تجارب متفرقة، فقد ساهمت الحداثة التي احتضنت الغموض في زعزعة القواعد الفنية التقليدية، مثل الصور البلاغية واللغة المعيارية والإيقاع الموسيقي، بل حتّى المضامين العميقة تعرضت للتغيير، مما جعل الشعر أقرب إلى النثر الفني.

وهذا الغموض يضفي على النصّ بعداً جماليّاً وفكرياً، حيث يخلق حالة من التفاعل بين القارئ والنص، فيشعر القارئ بالحاجة إلى استكشافه رغم تعقيده، ليجد فيه متنفّساً لمشاعرهِ وأفكارهِ، إذ تعتمد درجة تأثر القارئ بالنص على مستوى الغموض فيه ومدى عمقه.(١).

(١) موسى حبيب، الغموض والمماطلة في شعر الحداثة، مجلة محاورات، مجلد ١، عدد ١، ٢٠٢١م، ٢١.

وضعَ النقد البنيوي النصّ في أعلى الأماكن، حيث ابتدأ منه وانتهى به، بينما الاتجاهات النقدية التي انبثقت من البنيوية والتي شكلت ما بعد البنيوية، قد وضعت قراءة النص موضع النص نفسه، أي أنّها أعلت من سلطة قراءة النص، وبخاصة في الاتجاه التفكيكي الذي يعدّ أهم حركة بعد البنيوية في النقد الأدبي(١).

وقد اتّجه النقد نحو القارئ واهتمَّ بهِ، فبعد أن كان مستهلكاً صار منتجاً، حتّى غدا نفسهُ مادةً أوليّةً بين يدي القارئ ذو الخبرة الطويلة، يفككها ويسدّ الثغرات في بنية النص نفسه، ثمَّ يعيد إنتاجه، فأصبحَ هناك حوار ما بين القارئ والنص، وتعددت القراءات بتعدد القرّاء، واختلاف وجهات النظر، فلم يعد النصّ جميلاً في ذاتهِ، وإنّما أصبحَ جميلاً بقراءاتهِ، وانتقلَ النقد من مرحلة جماليات النص، إلى مرحلة جماليات قراءة النصّ.

إذن؛ يؤثّر الغموض في القصيدة على القارئ بعدّة طرق، حيث يفتح المجال للتأويل الشخصي ويحفّز الذهن على البحث عن المعاني الخفيّة، ما يعزز التفاعل العاطفي والفكري مع النصّ، كما أنَّ الغموض يضفي على القصيدة طابعاً جماليّاً يجعلها أكثر عمقاً واستمرارية في الذاكرة الأدبية.

مفهوم التأويل ودوره في فهم النص الشعري:

ارتبط مصطلح التأويل لدى العلماء العرب منذ القدم بالدين الإسلامي، وبمعاني القرآن الكريم، بحيث جعلوا مفاهيم التأويل منوطة بتدبير هذه المعاني، بذلك يرى بعضهم أنَّ مفهوم التأويل منبثق من أول الكلام وتأوله دبره، وقدره وأوله وتأوله: فسّره، وقال بعضهم التفسير كشف المراد من اللفظ المشكل، والتأويل ردَّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر(٢).

---

(١) جاك دريدا، في علم الكتابة، ترجمة وتقديم: أنور مغيث ومنى طلبة، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط٢، ٢٠٠٨، ص١٣.

(٢) محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ج٧، ص٢١٥.

وقد وردَ مصطلح التأويل في المعاجم الاصطلاحية العربية، بحيث عالجه علماء العربية القدامى في إطار دراستهم البلاغية، كما درسه الفقهاء والأصوليين من منظورٍ دينيٍّ، حيث ارتبطَ بتفسير القرآن الكريم وشرح الحديث الشريف، خصوصاً في النصوص حمالة الأوجه، فجاءت آراؤهم حولهُ مبثوثة في كتبهم، وقد نالَ هذا المصطلح اهتماماً كبيراً من الدارسين، لارتباطهِ بمرجعيات مختلفة، فكانت له تعريفات جديدة، ولم تكن الغاية المعرفية الهم الرئيس الذي يحركهم، بقدر ما تأسس النظر في تأويل القرآن على منطق الحجاج عن العقيدة، وهو منطق علم الكلام والدفاع عن المذهب وهو منطق الفكر السياسي(١).

ليسَ الغرض من التأويل الوصول إلى المعنى الحقيقي فحسب، بل يسعى إلى تحقيق متعة جمالية، ويكون بناءً على كفاءة ثقافية للمؤول وخبراته الإبداعية ومهاراته في استخدام التلميحات المناسبة لمعطيات النصّ، حتّى تتحقق فعاليته، لأنَّ التأويل في الدراسات المعاصرة أصبحَ قائماً على إعادة ما يملكه القارئ من رصيد معلوماتي، وتأويلات النصوص وتعدداتها مبنيّة أساساً على مؤهلات القارئ، حتّى يعلم كيف يخاطب النصّ ويمتزج بهِ، ثمَّ يعد ذلك في إنتاج دلالاته اللانهائيّة(٢).

وقد أصبحَ التأويل كمصطلح نقدي سائداً وأكثر ممارسةً وتداولاً في الدراسات الأدبية والنقدية، بالرغم من أنَّ جذوره كانت موغلة منذ القدم إلّا أنّه استطاع أن يتطور ويتغلغل في النقد الأدبي، ليحتلَّ موقع الصدارة ويساهم بدورهِ في توعية النقد الأدبي وتوجيهه من خلال فتح آفاقهِ وتوسيع مجاله المعرفي، خاصّةً لما بلغَ درجة من النضج.

---

(١) ناصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٤٥.

(٢) أميرتو أيكو، القارئ في حكاية المتعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، ترجمة أنطون أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٦م، ص٢٨ –٢٩.

فظاهرة التأويل ترتبط كذلك بالدلالة الأسلوبية، ومحاولة التوصل إلى الغاية المقصودة من الأساليب اللغوية، ومن هنا فالتأويل من الناحية اللغوية ظاهرة، لها أهميتها في تاريخ الفكر الإسلامي، وقد أكّد محمد آركون أنَّ وظيفة هذا الأخير تكمن في التفسير والكشف عن الحجب وعن الدلالات والمعاني، من دون القضاء على المجهول أو المغيّب، أو الصفة الفائقة والرائعة لما هو مكشوف(١).

هناك ارتباط وثيق بين عملية إنتاج النصوص وطرق تلقيها، حيث أنّنا نعيش في سياقٍ ثقافيٍّ يعتمد بشكلٍ أساسيٍّ على النصوص، لفهم العالم من حولنا، فالنصوص لا تقتصر على كونها وسيلة معرفية، بل تمثّل أيضاً نافذة تتيح لنا استكشاف الحاضر والماضي، مما يساهم في بناء جسور التواصل والتفاعل بين مختلف الثقافات، لهذا السبب؛ لا يكتب النص ليخاطب فئة محددة أو ينتمي إلى زمن معين أو ثقافة بعينها، بل يمتدّ تأثيره ليشمل نطاقاً أوسع من المتلقّين عبر الأزمنة والمجتمعات المختلفة.

إذن؛ فالتأويل هو عملية تفسير النصوص الأدبية بطريقة تتجاوز المعنى الظاهري، حيث يعتمد على السياق الثقافي، والتجربة الشخصية للقارئ، والرموز المستخدمة في النص.

وللتأويل دور هام في فهم النصّ الشعري، من خلال:

إثراء المعنى: إذ يساعد التأويل في الكشف عن طبقات متعددة من المعاني داخل القصيدة، مما يمنحها عمقاً أكبر.

التفاعل مع النصّ: إذ يسمح للقارئ بإعادة إنتاج المعنى وفقاً لخلفيتهِ الثقافية والتجربة الشخصيّة.

إبراز الرمزية: يساهم في فهم الرموز والاستعارات التي يستخدمها الشاعر، مما يعزز من إدراك الجماليات الشعرية.

إعادة تشكيل النص: إذ يمكن أن يؤدي التأويل إلى قراءات مختلفة لنفس القصيدة، مما يجعلها قابلة للتفسير عبر الزمن والثقافات المختلفة.

---

(١) محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة وتعليق هاشم صالح، لافوميك للنشر والتوزيع، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٩٣م، ٩٠-٩١.

المبحث الأول: تأثير الغموض في بنية القصيدة الحديثة

دراسة أساليب الغموض:

أخذ الغموض في الشعر العربي المعاصر أنماطاً وأنواعاً مختلفة، حسب مستويات توظيفه ومقاصد الشعراء، ويمكن أن نجمل ذلك في نوعين أساسيين:

الغموض الإبداعي: وهو غموض إيجابي ينبني على الإبداع في المستويات الفنية للنص، مما يجعلهُ نصّاً مفتوحاً متعدد القراءات.

الغموض المعقّد أو غموض التعمية: وهو غموض سلبي مرفوض من قبل الباحثين والنقاد، لأنّهُ ناتجٌ من الضعف والركاكة، إضافة إلى الإشكاليات التي يضعها في وجه المتلقّي، بسبب صعوبة فكّ مغاليقه.

تعددت مظاهر الغموض في الأدب الحديث، لاسيّما الشعر، نذكر منها:

غياب الدلالة: حيث يغيب الموضوع بشكل واضح، مما يخلق تأثيراً شعرياً يعتمد على التجريد.

التشتت الدلالي: إذ يصبح المعنى غير مترابط ومبعثراً.

إبهام العلاقات اللغوية: ويتجلّى ذلك في ضعف البناء النحوي، واستخدام لغة متفجرة، والاعتماد على اللغة الشعرية التي تجمع بين المتناقضات، بالإضافة إلى توظيف الصورة والفراغات وعلامات الترقيم بصورة غير مألوفة.

وقد لخّصَ بعضهم أساليب ومظاهر الغموض في الأدب الحديث في العناصر التالية[١]:

توظيف الكلمات بمعانٍ غير دقيقة أو غير مألوفة في اللغة.

استخدام مصطلحات وتراكيب جديدة تخالف القواعد اللغوية والنحوية.

---

(١) مطلق بن محمد شايع عسيري، الغموض في الأدب الحديث، أسبابه وآثاره، دار المعرفة، لبنان، ص١٨.

بناء النصوص بطريقة تتجاوز القواعد النحوية التقليدية، مع محاولة تفكيك هذهِ القواعد.

تغيير ترتيب أجزاء الجملة، بحيث يتم تقديم ما يفترض تأخيره، وتأخير ما يفترض تقديمه.

التركيز على الجمال اللفظي على حساب وضوح المعنى.

إطالة الفواصل بين أجزاء الكلام، ممّا يجعل القارئ يجد صعوبة في الوصول إلى فكرة محددة.

توظيف مصطلحات خاصة بمجتمع أدبي معين، بحيث تكون مفهومة لديهم لكنها غامضة لغيرهم.

إدخال رموز إغريقية ووثنية في النصوص الأدبية بهدف توجيهها نحو أفكار معينة.

ويعتبر الرمز من وسائل التعبير الحديثة في القصيدة المعاصرة، إذ يلجأ الشاعر لاستعمالهِ بغية التعبير عن مشاعرهِ بطريقةٍ إيحائيّة، دون وصفها أو تسميتها، وتلك غاية الشاعر في بلوغ الاتقان الفني والقدرة على التوصيل والتأثير.

أمثلة من شعراء الحداثة الذين اعتمدوا الغموض كأداة جمالية:

أدركَ شعراء الحداثة أهمية الغموض كأداة جماليّة تعزّز عمق النصّ الشعري وتمنحهُ طابعاً تأويلياً يفتح المجال أمام القارئ للتفاعل مع المعاني المتعددة، وقد أصبحَ الغموض سمة بارزة في الشعر الحداثي، حيث استخدمه الشعراء للتعبير عن رؤى فلسفيّة وتجارب إنسانية معقدة، مما جعل القصيدة أكثر تأثيراً وإيحاءً.

وقد استخدم شعراء الحداثة الغموض كأداة جمالية، لإثراء النص الشعري وإضفاء عمق وتأويلات عليه، فالغموض في الشعر الحداثي لم يكن مجرد تعقيد لغوي، بل كان وسيلة لإشراك القارئ في عملية الفهم والتفسير، مما يجعل التجربة الشعرية أكثر تفاعلية وإبداعية.

وقد اتّسمَ الغموض في شعر الحداثة بكثير من السمات؛ منها:

التكثيف اللغوي: حيث يعتمد شعراء الحداثة على لغة مكثّفة تحمل أكثر من معنى.

الرمزية: اللجوء إلى الرموز والأساطير لإيصال أفكار فلسفيّة أو اجتماعية.

التناصّ: أي استخدام إشارات ثقافية وتاريخية تجعل النص مفتوحاً على قراءات متعددة.

تفكيك البنية التقليدية: أي الابتعاد عن الأسلوب التقليدي المباشر والاعتماد على الصورة الشعرية المركبة.

من شعراء الحداثة: أدونيس، الذي تأثّر بأفكار الحداثة الفرنسية مبكراً من خلال قراءته لأعلامها وزيارته لفرنسا، وتكاد معظم أفكاره مأخوذة أو منقولة من كتابات آباء الحداثة الفرنسية، وهو من الأساتذة الذين لهم سمعة كبيرة في جامعة السوربون التي يدرّس فيها.

يعتبر أدونيس أحد أبرز شعراء الحداثة، حيث كان له تأثير كبير في تطوير الشعر الحديث، من خلال رؤيته النقدية والتجديدية، إذ رفضَ أدونيس النمط التقليدي للشعر العربي وسعى إلى إعادة تشكيله، وفقاً لرؤية حداثيّة تعتمد على التجريب والتغيير، كما استخدمَ الرموز والأساطير والتلميحات الثقافية لإثراء النص الشعري وإعطائهِ أبعاداً متعددة.

عملَ أدونيس على تجريد مصطلح الحداثة من خلفيته التاريخية ليموضعه في أطر أخرى، بعيدة عن العصرية وملابساتها، بذلك يكسبه صفة الإطلاق والجوهرة، الذي يجمعه مع كل المبدعين المحدثين في كل زمان ومكان، فهو يبحث جذور الحداثة العربية على المستوى الاجتماعي والأدبي منذ القرن السابع الميلادي، حيث يرى أنَّ للحداثة جذوراً في نتاج أبي تمام وأبي نواس، وفي كثر من النتاج العربي والفلسفي والصوفي، ذلك أنَّ الخاصيّة الأساسية التي تميز هذا النتاج هي إدانة التقليد ورفض النسج على منوال الأقدمين والتوكيد على التفرد والسبق والابتكار(١).

(١) عبد المجيد زراقط، الحداثة في النقد الأدبي المعاصر، دار الحرف العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١م، ص١٩٨.

يقول أدونيس[١]:

إنني لغة لا إله يجئ
إنّي ساحر الغبار
إنني نبي وشكاك
ولا شريان عندي بهذا العصر – إنّي مبعثر ولا شيء يجمعن
أحرق ميراثي، أقول أرضي
بكر ولا قبور في شبابي
أعبر فوق الله والشيطان
يكفيك أن تموت بعيدا

نلاحظ هنا موقف الشاعر من التراث، الذي تتّضح فيه معالم الثورة ومن ثـمَّ معالم الحداثة، فلمّا أخذ الشاعر يتساءل عن مدى ارتباطه بالتراث ومن ثمَّ بالمعنى والتاريخ؛ أصبحَ على أبواب ثورة جديدة تشكّك في مدى أهميّة ما حققته الثورة على الشكل.

كما استخدمَ محمود درويش الغموض كأداة جمالية تعكس عمق تجربته الشعرية ورؤيته الفلسفية، فقد كانَ الغموض في قصائدهِ وسيلةً للتعبيرِ عن القضايا الوطنية والإنسانية بطريقة غير مباشرة، مما أتاحَ للقارئ فرصة التأويل والتفاعل مع النصوص بشكلٍ أعمق.

وظّف درويش الغموض في شعرهِ عبرَ استخدامه للرمز والأساطير ليعبّر عن قضايا وطنية وإنسانية دون الإفصاح المباشر، كما مزج بين تجربته الشخصية والقضية الفلسطينية مما جعل شعره مفتوحاً على قراءات مختلفة، واعتمد على الإيحاءات والصور الشعرية المركبة، واستخدم لغة مكثّفة تحمل أكثر من معنى، ممّا يخلق حالة من الغموض الفنّي.

(١) أدونيس، الآثار الكاملة، المجلد الأول، ط٣، دار العودة، بيروت، لبنان، ص٣٩٠-٣٩١.

من صور الغموض في شعر محمود درويش عمليّة التجاوز اللغوي والدلالي، فالشاعر المعاصر لم تعد اللغة تكفيه، فكان عليه أن ينظم شعراً في لغةٍ جديدة، أو شعراً هو اللغة الجديدة، يقول محمود درويش(١):

أنا ضدّ العلاقة

أن تكون بداية الأشياء دائمة البداية

هذه لغتي

أنا ضدّ البداية

ومن أسبابِ الغموض في شعر درويش الدلالات المفاجئة، التي تسببُ حيرةً للمتلقّي، يقول(٢):

وتأتي العصافير غامضة كاعتراف النبات

وواضحة كالحقول

فكيف هو اعتراف النبات وإلى ماذا يرمز النبات؟ ولمعرفة الإجابة ينبغي قراءة كل قصائدهِ وتنظيم الدلالات في جدول يرجع إليه المتلقّي، لفهم مقصود الشاعر، وهو عمل ينفر منه أهل الاختصاص، فكيف بالقارئ العادي، إذن فهذا الشعر يتطلب قارئاً من نوعٍ خاصٍّ قادرٍ على الخلق والاستنتاج.

ومن الشعراء أيضاً الشاعر عفيفي مطر، إذ يقول(٣):

يا سفري الضرير

في منجم الكيمياء والتحول الأخير

تنحل في دمي روابط الأشياء

وترقص العناصر المفككة

تنقلب الفروع في الجذور

---

(١) محمود درويش، الديوان، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٦٨م، ص٤٩٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٥١٥.

(٣) محمد القعود، مرجع سابق، ص٢١١.

والنار ترتمي ثمارها في الكرمة المحترقة
والماء في دمي يميت بذرتي المنفلقة
يشتعل الهواء، ثم يجبل الرماد
لكنني أنتظر التحول الأخير
كي تأخذ المناجم المعتمة المشتعلة
كراهتي للعالم الأخير

نلاحظ هنا تشتت القصيدة وغياب روابطها من تشتت العالم وتفكك النـــاس، وتشتت حياتهم وغياب الروابط والتماسك وتباعد بناياتهم وأحيائهم بســـبب طـــرق سريعة لا تتيح فرصة الالتقاء والاجتماع.

مقارنة بين الغموض والإبهام في النص الشعري:

الإبهام في النصّ الشعري والغموض؛ هما ظاهرتان أدبيتان تتجليـــان فـــي استخدام الغموض والتلميح، بدلاً من الوضوح المباشر، مما يتيح للمتلقّـــي مجـــالاً واسعاً للتأويل والتفاعل مع النص، وقد أصبحَ الإبهام في الشعر الحديث سمة بارزة، حيث يسعى الشعراء إلى تجاوز المعاني التقليدية وإدخـــال عناصـــر جديـــدة مـــن التجريب والتجديد.

يرتبط الإبهام والغموض في الشعر الحديث بعدّة عوامل، منها:

التأثّر بالثقافات الغربية، حيث استلهم الشعراء العرب من المدارس الأدبيـــة الغربية التي تميل إلى الرمزية والتجريد.

التطور في الأوزان الشعرية مما أدّى إلى تغيير في بنية القصيدة وأسلوب التعبير.

التجديد والحداثة، حيث يسعى الشعراء إلى خلق نصـــوص مفتوحـــة علـــى احتمالات متعددة من الفهم والتفسير.

إنَّ الغموض والإبهام في النصّ الشعري هما مفهومان متقاربـــان، لكنهمـــا يختلفان في التأثير والمعنى، فالغموض هو سمة فنيّة تعكس التفكير العميق للشاعر، ويضفي على النصّ الشعري سحراً وغمقاً، إذ يسمح للقـــارئ بالتأمّـــل والتفســـير

الشخصي، ما يفتح المجال لتعدد القراءات والتأويلات، ويعتبر الغموض جزءاً من جمال الشعر الحديث لأنّهُ يعكسُ تعقيد التجربة الإنسانية، ويترك مساحة للتفسير الشخصي.

بينما الإبهام يرتبط بالنحو وتركيب الجمل، وهو خللٌ لغويٌّ يجعلُ البيت الشعري صعب الفهم دون فائدة أدبية واضحة، فالإبهام قد يؤدي إلى تفكك النصّ وعدم وضوح المعنى، مما يجعل القارئ غير قادر على استيعاب الفكرة المطروحة.

والغموض يعتمد على الصور الفنية والرموز التي تترك مجالاً للتأويل، ويضيف عمقاً للنصّ ويجعل القارئ يتأمّل في المعاني المختلفة، إضافةً إلى أنّهُ لا يعيق الفهم تماماً، بل يدعو إلى التفكير والتفسير الشخصي.

أمّا الإبهام فيرتبط بالنحو وتركيب الجمل، مما يجعل المعنى غير واضح، وقد يكون نتيجة خلل لغوي أو عدم وضوح العائد في الجملة، ما قد يؤدي إلى تفكك النص وعدم القدرة على فهمه بسهولة.

لكن يرى بعضهم أنَّ الإبهام يؤثّر في النص الشعري على فهم القارئ بطرق عديدة، حيث يمكن أن يكون عاملاً محفّزاً للتأمل والتفسير، كما يستخدمه بعض الشعراء لإيصال أفكار فلسفية أو رمزية، ما يجعل النص أكثر عمقاً وتعقيداً، لكنه قد يشكّل أيضاً تحدّيات في استيعاب المعنى المقصود، فالإبهام يفتح المجال أمام القارئ لتأويل النص وفقاً لتجاربه الشخصية، مما يعزز التفاعل الإبداعي معه، كما يدفع القارئ إلى البحث عن المعاني المخفية، مما يجعله أكثر انخراطاً في النصّ، إضافةً إلى أنَ الإبهام المفرط قد يؤدي إلى صعوبة الفهم، مما يجعل القارئ يشعر بالإحباط أو يفقد الاهتمام بالنصّ.

إذن؛ ينظر إلى الغموض على أنّهُ عنصرٌ جماليٌّ يعزز من قيمة الشعر، بينما الإبهام قد يكون عائقاً أمام فهم النص الشعري.

إذن؛ ينظر إلى الغموض على أنّهُ عنصرٌ جماليٌّ يعزز من قيمة الشعر، بينما الإبهام قد يكون عائقاً أمام فهم النص الشعري.

المبحث الثاني: جمالية التأويل وأفق التلقّي

نظريات التأويل (النظريات الغربية، والنظريات العربية).

إنَّ التأويل هو عملية تفسير النصوص وفهمها وفقاً لسياقاتها المختلفة، وهو مجال فلسفي ولغوي يتناول كيفيّة إدراك المعاني العميقة وراء الكلمات.

تطورت نظريات التأويل عبر العصور، بدءاً من التأويل الكلاسيكي، الذي ركّز على المعنى الثابت للنصوص، وصولاً إلى التأويل الفلسفي الذي يرى الفهم كعملية ديناميكية تتأثّر بالسياق التاريخي والثقافي، كما ظهر التأويل البنيوي والتفكيكي، الذي يعتمد على تحليل العلاقات داخل النص وتفكيك المعاني لإعادة بنائها وفقاً لوجهات نظر متعددة.

في الفكر العربي؛ لعبَ التأويل دوراً مهماً في تفسير النصوص الدينية والفلسفيّة، حيث سعى المفكرون إلى التوفيق بين المعاني الظاهرة والباطنة، هذه النظريات جعلت من التأويل أداةً أساسيّة في فهم الأدب والفلسفة والنصوص الدينية، حيث فتحت المجال أمام رؤى متعددة تثري النقاش الفكري والثقافي.

سنتحدث في هذا المبحث عن النظريات الغربية والنظريات العربية، التي فسّرت التأويل وفقاً لرؤياها.

فالتأويل في الفلسفة الغربية يتنوّع بين عدّة اتجاهات رئيسة، منها :

التأويل الكلاسيكي: الذي يركّز على العلاقة بين اللغة والمنطق، حيث ينظر إلى النصوص على أنّها تحمل معنى ثابتاً يمكن استخلاصه من خلال التحليل اللغوي والمنطقي، ويعود هذا الاتجاه إلى الفلسفة اليونانية وخاصّة أرسطو، الذي رأى أنَّ الفهم يعتمد على قواعد محددة يمكن تطبيقها لفكّ رموز النصوص.

التأويل الفلسفي: كما طرحه هانز جورج غادامير وبول ريكور، الذي يعتمد على فكرة أنَّ الفهم ليس مجرد استرجاع للمعنى الأصلي، بل هو عملية تفاعلية بين القارئ والنص، إذ يرى غادامير أنَّ الفهم يتأثّر بالسياق التاريخي والثقافي للقارئ، مما يجعل التأويل عملية ديناميكية تتغير مع الزمن.

التأويل البنيوي: الذي يرتبط بأعمال جاك دريدا، الذي يركز على تفكيك النصوص وإعادة بنائها وفقاً للسياقات المختلفة، ويرفض هذا الاتجاه فكرة أنَّ النصّ يحمل معنى ثابتاً، بل يرى أنَّ المعاني تتشكّل من خلال العلاقات بين الكلمات والبنية العامة.

أمّا التأويل في النظريات العربية؛ فهو يمتد عبر التاريخ، حيث بدأ كأداة لفهم النصوص الدينية والفلسفيّة، ثمَّ تطوّر ليشمل الأدب والعلوم الإنسانيّة.

ويمكننا تقسيم التأويل العربي إلى عدّةِ مراحل:

التأويل في التراث الإسلامي: استخدمه علماء التفسير لفهم النصوص القرآنية وتأويلها، وفقاً للسياقات اللغوية والشرعية، وقد ظهرَ في علم الكلام حيث استخدمه المعتزلة والأشاعرة لتفسير العقائد والنصوص الدينية.

التأويل الفلسفي العربي: إذ تأثّر بالفكر اليوناني، ولاسيّما مع الفارابي وابن سينا وابن رشد، الذين سعوا إلى التوفيق بين الدين والفلسفة من خلال التأويل.

التأويل في الفكر العربي الحديث: الذي ظهر مع المفكرين، أمثال محمد أركون، ونصر حامد أبو زيد، الذين استخدموا التأويل لفهم النصوص الدينية في سياقات اجتماعية وثقافية جديدة، بالإضافة إلى التأثّر بالهرمنيوطيقا الغربية، حيث أصبح التأويل أداةً لفهم النصوص بعيداً عن التفسير التقليدي.

دور القارئ في تفسير القصيدة وإعادة إنتاج معناها:

يعرّف سعيد علّوش المتلقّي في معجم المصطلحات الأدبية بأنّه الكائن أو الآلة التي يصدر إليها خبر ما، وليس مقصوداً بالقارئ أو المتلقّي هنا هو ذلك القارئ العادي الذي يعرّفه الدكتور جونسون بأنّه يختلف عن الناقد والعالم، فهو أقلّ ثقافة منهما، لأنَّ الطبيعة لم تغدق عليه في سخاء من مواهبها. أو هو ذلك القارئ المتوهّم الذي يمتلكه كل كاتب، إذ تستحيل كتابة عمل ما دون مقصدية تتوجه بالعمل إلى نوعٍ من القرّاء.

إنّما المقصود بالقارئ المتلقّي؛ من يقف من المنتوج الأدبي خاصةً موقف المتفحّص الثاقب النظرة الذي يسبر أغواره ويستفتح منغلقاته ويشترك في عمليّة تكوين المقروء، فالقارئ هو الفاعل لعملية التلقي والاستقبال الذي تجتمع في ثلاثة مستويات وفقاً لاقتراح ميشيل بيكار، لرصد ثلاثة ترهينات أساسية داخل كل قارئ: القارئ المتصفّح، والقارئ الفاعل، والمقروء، فيحدّد القارئ المتصفّح باعتبارهِ جزءاً من الذات، وهو الذي يتناول الكتاب بين يديه، ويبقى على اتّصالٍ بالعالم الخارجي، وأمّا المقروء؛ فيحدده باعتباره لا وعي القارئ المنفعل بإزاء بنيات النصّ الاستيهامية، أمّا القارئ الفاعل فيحدد باعتباره ترهيناً للنقد من الدرجة الثانية الذي يهتمّ بتعقد العمل الأدبي(١).

إذن؛ يعدُّ دور القارئ في تفسير القصيدة وإعادة إنتاجها جزءاً أساسياً من العمليّة الأدبية، حيث لا يقتصر دور القارئ فقط على استقبال المعنى، بل يتفاعل معه ويعيد تشكيله وفقاً لخلفيته الثقافية والاجتماعية والتاريخية، ويمكن توضيح ذلك وفقاً لما يلي:

التفاعل مع النص: لا يكتفي القارئ بفهم المعنى الظاهر، بل يسعى إلى استكشاف الرموز والدلالات المخفية، مما يفتح المجال لتعدد التأويلات.

إعادة بناء المعنى: من خلال تجربته الشخصية، إذ يملأ القارئ الفراغات في النص ويربط الأجزاء غير المترابطة، مما يساهم في تشكيل بنية نهائية جديدة للنص الشعري.

التأثير الثقافي والاجتماعي: فالخلفيّة الفكرية للقارئ تؤثر في طريقة فهمه للنص، حيث يمكن أن يضيفَ إليه أبعاداً جديدة لم تكن واضحة عند الشاعر.

(١) فانسون جوف، ترجمة محمد أيت لعميم وشكير نصير الدين، القراءة، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٦، ٦١-٦٢.

العلاقة بين التأويل والتجربة الشعرية الفردية

يمكننا تعريف التجربة الشعرية الفردية بأنّها الخبرة النفسية التي يعيشها الشاعر عندما يتأثّر بموقفٍ معيّنٍ، مما يدفعه إلى التعبير عنها بأسلوب شعري يعكس مشاعره وأفكاره.

وتتّسم هذه التجربة بالذاتية، حيث تنبع من إحساس الشاعر العميق وتأمّله في الواقع أو في ذاته.

إذن؛ تكون التجربة الشعرية الفردية مكوّنة من:

المؤثّر أو الدافع: وهو الحدث أو الفكرة التي تثير مشاعر الشاعر وتدفعه للكتابة.

التجربة الشعورية: الحالة النفسية التي يمرّ بها الشاعر أثناء تفاعله مع المؤثّر.

التعبير الفني: أي الطريقة التي يصوغ بها الشاعر تجربته في شكل شعري مستخدماً الصور الفنية واللغة الإبداعيّة.

تبقى التجربة ذات طابع شعوري أو نفسي ما دامت كامنة في وجدان الشاعر، ولم يعبّر عنها شعريّاً، ولكن بمجرّد أن يصوغها في شكلٍ شعريٍّ؛ تنتقل من نطاقه الداخلي إلى العالم الخارجي، لتصبح تجربة شعرية. بالتالي؛ فإنَّ التجربة الشعرية هي تحول التجربة الشعورية من الإحساس الداخلي إلى تعبير أدبي يمكن للآخرين قراءته والتفاعل معه، كما تفاعل معه الشاعر نفسه، وهذا يعني أنَّ التجربة الشعرية ليست سوى توثيق للتجربة الشعورية، بما تحمله من أفكار ومشاعر.(١).

تتمثّل العلاقة بين التأويل والتجربة الشعرية الفردية في أنَّ التأويل يفتح المجال أمام القارئ لإعادة إنتاج المعنى، وفقاً لتجربته الشخصيّة، مما يجعل النصّ

(١) سلوى محمد أحمد عزازي، مقال بعنوان التجربة الشعرية، موقع الدكتورة سلوى عزازي للأبحاث والدراسات، تمَّ الاطلاع بتاريخ ١٤ يونيو ٢٠٢٥م، https://www.delta-school.com/vb/t10654.html

الشعري متعدّد الأبعاد والدلالات، أي النصّ الشعري حمّال أوجه، فالتجربة الشعرية الفردية تعكس مشاعر الشاعر ورؤيته الخاصة للعالم، بينما التأويل يسمح للقارئ بإعادة تشكيل هذه الرؤية وفقاً لخلفيته الثقافية والمعرفية.

فالتجربة الفردية تؤثر بشكل كبير في التأويل الشعري، حيث يعتمد القارئ على خلفيته العاطفية والثقافية لفهم النصّ وإعادة إنتاجهِ، فكل قارئ يحمل تجاربه الخاصة التي تؤثر على طريقة فهمه للقصيدة، فقد يرى فيها معاني لم يقصدها الشاعر، لكنها تتناسب مع مشاعرهِ وظروفهِ، والشعر بطبيعتهِ مفتوحٌ للتفسير، مما يسمح للقارئ بإضفاء رؤيته الخاصة على النصّ، سواء من خلال إسقاط مشاعرهِ أو ربطه بأحداث حياته، كما أنَّ التجربة الشخصية تجعل القارئ يتفاعل مع النص بشكلٍ وجدانيٍّ، مما يعزز من تأثيره العاطفي ويجعل القصيدة أكثر قرباً منه.

مستويات التأويل بين السياق الشخصي والسياق الثقافي:

إنَّ التأويل هو عمليّة تفسير النصوص وفهمها وفقاً لعدّة مستويات، تتفاوت في العمق والتعقيد، وهو يهدف إلى الكشف عن المعاني الظاهرة والخفيّة، مما يسمح بتعدد القراءات للنص الواحد.

تختلف مستويات التأويل بحسب المنهج المستخدم، فقد يكون لغويّاً، يعتمد على تحليل المفردات والتراكيب، أو رمزيّاً يستكشف الإشارات والدلالات العميقة، أو سياقيّاً يأخذ في الاعتبار الظروف التاريخية والاجتماعية للنصّ، أو شخصيّاً يعكس تجربة القارئ الذاتيّة، فهذهِ المستويات تجعل التأويل أداةً أساسيّةً في فهم الأدب والفلسفة والنصوص الدينية، حيث يفتح المجال أمام رؤى متعددة تثري النقاش الفكري والثقافي.

بذلك تكون مستويات التأويل كما يلي:

مستوى التأويل اللغوي: يعتمد على تحليل الكلمات والتراكيب اللغوية لفهم المعنى الظاهري للنصّ.

مستوى التأويل الرمزي: يبحث في المعاني العميقة والرموز التي قد تحمل دلالات فلسفيّة أو ثقافيّة.

مستوى التأويل السياقي: يأخذ في الاعتبار الظروف التاريخية والاجتماعية التي كتب فيها النصّ لفهم دلالاته بشكل أوسع.

مستوى التأويل الشخصي: يعتمد على تجربة القارئ الفردية وتفاعله مع النص، مما يؤدي إلى قراءات متعددة.

لطالما كان التأويل منذ القدم محطّ اهتمام جميع الحضارات البشرية المتلاحقة، وهو يعكس بوضوح ما ينغرس في كل حضارة، من أعراف وطقوس وتقاليد وأساطير، ومع ذلك؛ يختلف التأويل من مجتمع إلى آخر، بل حتّى داخل المجتمع نفسه، حيث تتباين وجهات النظر بين الأفراد، وقد يتغير فهم الفرد الواحد للتأويل جزئياً أو كلياً وفقاً للظروف.

إذ ينظر إلى التأويل على أنّه عمليّة مرتبطة بالتاريخ، فهو يتأثّر بعوامل الزمن ويستجب لها، كما يساهم في تشكيل الأحداث التاريخية وإحداث تحولات فيها، ومن خلال دراسة التأويل في العصور القديمة سواء في سياق العهدين القديم والجديد، بتياراته المختلفة، أو في الفكر العربي باتجاهاته المتباينة والمتعددة، أو التأويل الحديث؛ يتّضح مدى ارتباطه الوثيق بالتاريخ وتأثيره المستمر فيه(١).

يتناول البحث في مستويات التأويل بين السياق الشخصي والسياق الثقافي كيفيّة تفاعل القارئ مع النص الأدبي وفقاً لتجاربه الفردية ومعارفه الاجتماعية، فالتأويل الشخصي يعتمد على الخلفيّة العاطفيّة والتجربة الذاتية للقارئ، ما يتيح للقارئ إسقاط مشاعره وأفكاره على النصّ، ما يجعلهُ تجربة فردية فريدة، وقد يؤدي التأويل الشخصي إلى قراءات مختلفة لنفس القصيدة، حيث يرى كل قارئ فيها شيئاً يعكس حالته النفسية.

---

(١) محمد مفتاح، التلقي والتأويل، مقاربة نسقية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ٢٠٠٩، ٢١٧-٢١٨.

في حين يستند التأويل الثقافي إلى الرموز والمعايير الفكرية السائدة في المجتمع، ويفسّر النصّ وفقاً للسياق التاريخي والاجتماعي الذي كتبَ فيه، بالإضافة إلى أنّه يربط القصيدة بالتراث الأدبي والفلسفي، مما يمنحها بعداً جماعياً يتجاوز التجربة الفردية.

من ذلك نفهم أنّهُ لا يوجد فصل صارم بين التأويل الشخصي والتأويل الثقافي، بل يتداخل التأويلان في عملية الفهم والاستيعاب، فالقارئ قد يبدأ بالتأويل الشخصي ثمَّ يوسّع رؤيته عبر السياق الثقافي، أو العكس، وهذا التفاعل يجعل النص الأدبي حيّاً وقابلاً لإعادة التفسير عبر الزمن.

فمثلاً؛ لنأخذ قصيدة للشاعر محمود درويش، وقوله فيها: "على هذه الأرض ما يستحقّ الحياة"، يكون التأويل الشخصي لها: إذا قرأها شخص فلسطيني عاش تجربة الاحتلال؛ فقد يراها تعبيراً عن الأمل والمقاومة رغم المعاناة، أمّا شخص آخر لم يعش هذهِ التجربة؛ فقد يفسّرها على أنّها تأمل فلسفي في معنى الحياة والجمال دون أن يربطها سياسيّاً.

وفي السياق الثقافي؛ قد تفهم القصيدة على أنّها دعوة للصمود والتشبّث بالأرض والهوية، بينما في سياقٍ آخر قد تقرأ القصيدة باعتبارها إنسانية تتحدث عن قيم عامة، كالحبّ والجمال دون التركيز على البعد السياسي. فالفهم ليس ثابتاً، بل يتشكل وفقاً لتجربة الفرد وسياقه الثقافي.

الخاتمة:

تمَّ البحث بعونهِ تعالى، وفي الختام أقول:

يظلّ الشعر الحديث فضاءً مفتوحاً للتأويل، حيث تتداخل سلطة الغموض مع جماليات الفهم المتعدد، ما يمنح النص الشعري عمقاً يتجاوز المعنى المباشر، فالغموض في الشعر الحديث ليسَ مجرد تعقيد لغوي؛ بل هو وسيلة لإثراء التجربة الشعرية، ودعوة للقارئ إلى المشاركة الفاعلة في إنتاج المعنى.

من جهةٍ أخرى؛ يتيح التأويل إمكانيّة إعادة تشكيل النصوص وفقاً للسياقات الثقافية والتجارب الشخصية، مما يجعل الشعر الحديث أكثر ديناميكية وقابلية للتفاعل مع الزمن والتغيرات الفكرية.

وبينما يرى البعض أنَّ الغموض قد يصل إلى حدّ الإبهام؛ فإنَّ التوازن بينه وبين التأويل يظلُّ مفتاحاً لفهم الشعر الحديث، واستكشاف أبعاده الجمالية والفكرية.

وقد توصل البحث إلى النتائج التالية:

- أنَّ الغموض ليسَ نقيضاً للفهم، بل هو حافز على التأويل.
- أن القصيدة الحديثة تخلق جماليتها في مسافة التوتر بين الإضمار والتأويل.
- أن القارئ يؤدي دوراً مهماً وحيوياً في تشكيل المعنى الشعري؛ لأنَّ النصّ الشعري حمّال أوجه ومتعدّد المعاني والدلالات.

المصادر والمراجع:

- أدونيس، الآثار الكاملة، المجلد الأول، ط٣، دار العودة، بيروت، لبنان.
- أميرتو أيكو، القارئ في حكاية المتعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، ترجمة أنطون أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٦م.
- جاك دريدا، في علم الكتابة، ترجمة وتقديم: أنور مغيث ومنى طلبة، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط٢، ٢٠٠٨م.
- دريد يحي الخواجة، الغموض الشعري في القصيدة العربية الحديثة، دار الذاكرة، حمص، ط١، ١٩٩١م.
- سلوى محمد أحمد عزازي، مقال بعنوان التجربة الشعرية، موقع الدكتورة سلوى عزازي للأبحاث والدراسات، تمَّ الاطلاع بتاريخ ١٤ يونيو ٢٠٢٥م، https://www.delta-school.com/vb/t10654.html
- سليمان خالد، أنماط الغموض في الشعر العربي الحر، جامعة اليرموك، أربد، ١٩٨٧م.
- عبد الرحمن بدوي، الموت والعبقرية، وكالة المطبوعات، دار القلم، بيروت، ١٩٥٤م.
- عبد الرحمن محمد القعود، الإبهام في شعر الحداثة، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٢م.
- عبد المجيد زراقط، الحداثة في النقد الأدبي المعاصر، دار الحرف العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١م.
- فانسون جوف، ترجمة محمد أيت لعميم وشكير نصير الدين، القراءة، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٦.
- فتيحة فاطمي، التأويل في الفكر الغربي المعاصر، مجلة حكمة، ١٨-٤-٢٠١٥م، تاريخ الاطلاع ١٧ يونيو ٢٠٢٥م، www.hekmah.org

- قاسم مومني، الموازنة للآمدي، دراسة وتحليل، الدار البيضاء، المغربية للنشر، ١٩٨٥م.
- محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة وتعليق هاشم صالح، لافوميك للنشر والتوزيع، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٩٣م.
- محمد الديهجاني، التأويل عند العرب: من التراث إلى الفلسفة الحديثة، مجلة القدس، ٢٥- أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع ١٧ يونيو ٢٠٢٥م.

www.alquds.com

- محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ج٧.
- محمد مفتاح، التلقي والتأويل، مقاربة نسقية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ٢٠٠٩.
- محمود درويش، الديوان، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٦٨م.
- مطلق بن محمد شايع عسيري، الغموض في الأدب الحديث، أسبابه وآثاره، دار المعرفة، لبنان.
- موسى حبيب، الغموض والمماطلة في شعر الحداثة، مجلة محاورات، مجلد ١، عدد ١، ٢٠٢١م.
- ناصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٣٤٧
٢-	Abstract	٣٤٨
٣-	المقدمة	٣٤٩
٤-	التمهيد	٣٥٢
٥-	الإطار النظري	٣٥٣
٦-	تعريف الغموض في الشعر الحديث	٣٥٣
٧-	علاقة الغموض بجمالية القصيدة وتأثيره على القارئ	٣٥٤
٨-	مفهوم التأويل ودوره في فهم النص الشعري	٣٥٦
٩-	المبحث الأول: تأثير الغموض في بنية القصيدة الحديثة	٣٥٩
١٠-	دراسة أساليب الغموض	٣٥٩
١١-	أمثلة من شعراء الحداثة الذين اعتمدوا الغموض كأداة جمالية	٣٦٠
١٢-	مقارنة بين الغموض والإبهام في النص الشعري	٣٦٤
١٣-	المبحث الثاني: جمالية التأويل وأفق التلقّي	٣٦٦
١٤-	نظريات التأويل (النظريات الغربي، والنظريات العربية)	٣٦٦
١٥-	دور القارئ في تفسير القصيدة وإعادة إنتاج معناها	٣٦٧
١٦-	العلاقة بين التأويل والتجربة الشعرية الفردية	٣٦٩
١٧-	مستويات التأويل بين السياق الشخصي والسياق الثقافي	٣٧٠
١٨-	خاتمة	٣٧٣
١٩-	المصادر والمراجع	٣٧٤
٢٠-	فهرس الموضوعات	٣٧٦